أثر سيبويه الصوتي في كتاب شرح مشكلات الحماسة لابن جنِّي

جنان منصور كاظم

نور عبد العزيز أمين

الملخص

يتناول هذا البحث بالتحليل موضوعين مهمين من مواضيع الدرس الصوتي وهما القلب والإبدال فكان على مبحثين الأول تناولت فيه القلب وتعرضت الى معناه اللغوي والاصطلاحي ثم التعرض الى آراء سيبويه والنحويين في هذا الجانب، أمّا المبحث الثاني فقد تناول التعريف بالإبدال من حيث اللغة والاصطلاح وتبيان الفرق بينه وبين الإعلال. ومن ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها، والمنهج المتبع في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: أثر سيبويه الصوتي، القلب، الإبدال، شرح مشكلات الحماسة

المدخل:

يعنى المستوى الصوتي بالظواهر الصرفية التي تراعي التناسق بين حروف الكلمة الواحدة، وهو ما نجده كثيرًا في اللغة العربية، على النحو الذي ينتج عنه تغييرات في بنية الكلمة من منطلق التراصِّ الحرفي، فنجد العرب قد لجؤوا إلى الإعلال والإبدال والحذف، وغير ذلك مما طلبوا به خفة النطق، كالحذف مثلًا؛ لأنه "لمَّا كَثُر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام"[1].

ومن ذلك تجاور ثلاث حركات من جنس واحد، ولجوء المتكلم إلى تسكين الحرف الثاني استثقالًا، كما في وزن (فعْلَلَ)؛ لأنه "ليس في كلامهم أربع حركات متوالية في كلمة واحدة؛ لما فيه من الاستثقال"[2].

ولم يكن (ابن جني)، بدعًا ممن تناولوا المسائل الصوتية الواردة في كلام العرب، وبرز تأثره بسيبويه، كأحد أعلام مدرسة البصرة النحوية التي ينتمي إليها، وإن المتأمل في كتاب ابن جني، الموسوم (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة)، ليلاحظ ذلك التأثر بوضوح، وإن تفاوت من مسألة لأخرى، وهو ما يشير إلى استقلالية ابن جني، وعدم تبعيته الكاملة لآراء سيبويه؛ إذ يوردها، فيتفق معها كليًّا أو جزئيًّا، وما نتناوله في هذا البحث هو الظواهر الصوتية التي تعتمد على طبيعة الحروف وهي القلب والإبدال.

([1]) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين 279/1.

([2]) شرح شافية ابن الحاجب267/1.

المبحث الأول:

القلب:

- **القلب لغة**: يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (قَلَبَ)، و"القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر على ردِّ شيءٍ من جهة إلى جهة"[3]، وهو " تحويل الشيء عن وجهه، نقول: قَلَبه يَقْلِبُه قَلْباً، وأَقْلَبه، وقلب الشيء، وقَلَّبه: حوَّله ظهرًا لبطن. وتقلَّب الشيء ظهرًا لبطن، كالحية تتقلَّب على الرمضاء. وقَلَبْتُ الشيء فانقلب: أي انكَبّ، وقلَّبْتُهُ بِيدَيَّ تقليبًا، وكلام مقلوب، وقد قَلَبتُهُ فانقَلَب، وقلَّبْتُهُ فتَقَلَّب"[4].

- **القلب اصطلاحًا**: هو إِحْلاَل الواو أو الياء أو الألف أو الهمزة مَحَلّ آخر منها[5].

وتناول تمام حسان ظاهرة القلب، فأورد: " وملخص القلب أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قُلِبَتَا ألفًا كما في: قال وباع ونوى ورمى وغزا، ولا تُقلَبان إذا سُكِّن ما بعدهما أو كانتا عينًا لفعل كحور وعين، أو لفعل الذي الوصف منه على وزن (أفعل) نحو: عور وعين، أو افتعل الواوي كاجتوروا، أو ما آخره زيادة تختص بالأسماء كدوران، أو كانت إحداهما أول حرفين مستحِقَّيْن لهذا القلب نحو: حَيَوَان"[6].

وقد تناول النحويون القدماء ظاهرة القلب؛ باعتبارها مما يتعلق بالعلاقة الصوتية بين الحروف، ومن ذلك كلمة (سياط) مثلًا، إذ أورد ابن جني: "اعلم أن القلب إنما وجب في (سياط) ونحوه لأشياء تجمعت، لا لشيء واحد، منها: سكون الواو في الواحد، والحرف الساكن ضعيف يقبل العلة، ومنها: انكسار السين في سياط، ومنها: وقوع الألف بعد الواو، والألف قريبة الشبه من الياء، ومنها: أن الكلمة جمع، والجمع أثقل من الواحد، فلما تجمَّعت هذه الأشياء المستثقلة كلها، هربوا من الواو إلى الياء"[7].

والقلب من سنن العرب في كلامهم، ومن ذلك ما أورده سيبويه: " أينقٌ إنَّما هو أنوقٌ في الأصل، فأبدلوا الياء مكان الواو وقلبوا، فإذا حقرت قلت: لويثٍ وشويكٍ وأيينقٌ، وكذلك لو كسرت للجمع لقلت: لواثٍ وشواكٍ كما قالوا: أيانق. وكذلك مطمئنٌّ، إنّما هي من طأمنت فقلبوا الهمزة، ومثل ذلك

([3]) معجم مقاييس اللغة 17/5.

([4]) لسان العرب685/1.

([5]) ينظر: المنصف ص343.

([6]) اللغة العربية معناها ومبناها ص276.

([7]) المرجع السابق342/1، وينظر: الخصائص 159/1.

القيسيُّ، إنما هي في الأصل القووس، فقلبوا كما قلبوا أينقٌ، ومثل ذلك قولهم: أكره مسائيك، إنَّما جمعت المساءة ثم قلبت"[8].

ويشير ما ورد أعلاه إلى أن العرب قد استهدفوا التخلص من الثقل في كلامهم، فعمدوا إلى القلب؛ لتيسير النطق، وهو منحى رصفي يعنى بتجاور الحروف في الكلمة الواحدة.

ومما ورد من مسائل القلب في كتاب التنبيه ما يلي:

- **المسألة الأولى**: اعتبار ظاهر بنية اللفظ ذي الأصل المنقلب:

قول رجل من شعراء حمير:

مَنْ رأى يَوْمنَا ويَوْمَ بَني التيْم إذِ الْتَفَّ صِيقهُ بِدَمهْ[9]

- **نـصُّ المسـألة:** أورد: "ظـاهر أمـر العـين مـن (صـيق) أنهـا يـاء؛ حمـلًا علـى الظـاهر، وكـذلك مأخـذ هـذا النحـو، ألا تـرى أن سـيبويه حمـل (سـيِّدًا) علـى أن عينـه يـاء، فقـال فـي تحقيـره: سُـيَيْد حمـلًا على ظاهر أمره"[10].

وأورد في موضع آخر، في معرض تناوله قول كنزة أم شملة بن برد المِنقَري:

لَهْفَى عَلى الْقَوْمِ الذِينَ تَجَمَّعُوا بذِي السيِّدِ لَمْ يَلْقَوْا عَلِيًّا ولاَ عَمْرَا [11]

إذ أورد: "تقبَّل سيبويه عين (السيِّد) على ظاهرها، فاعتقد فيها كونها ياء، ألا تراه قال في تحقيرها سُـيَيْد، ولا اعتبار لقولهم في تصغير (عيد): عُيَيْد؛ لقِلَّته وشذوذه، فحصَّلنا بذلك أصلًا نعتقده، وذلك أن نحمل الشئ أبدًا على ظاهره حتى يستنزلنا عن ذلك أمر نتبعه" [12].

- **دراسـة المسـألة:** تنـاول ابـن جنـي مسـألة الحمـل علـى الظـاهر، فـي معـرض تناولـه لفـظ (صـيق)، وأصـله اليـاء؛ لأن الجمـع: "صِـيَق، مثـل: جِيفـة وجِيَـف"[13]، ومـن ثـم، فقـد تفـرَّع ابـن جنـي، علـى مـا أصـله الـواو، وعاملـه سـيبويه علـى أن أصـله اليـاء؛ حمـلًا علـى الظـاهر؛ إذ صـغَّر سـيبويه (سـيِّد) تحقيـرًا علـى (سُـيَيْد)، رغـم أن أصـل الفعـل (سـاد- يسـود)، فكانـت بـذلك (سـيِّد) أصـلها: سـيْوِد، إلا أنهـم

([8]) الكتاب، 3/466-467.

([9]) ديوان الحماسة1/122.

([10]) التنبيه على شرح مشكلات الحماسةص149.

([11]) ديوان الحماسة1/292.

([12]) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، ص149.

([13]) لسان العرب، 10/208.

لما استثقلوا مجاورة الياء للواو، قلبوا الواو ياء؛ لخفَّتها مقابل الياء، وأُدغِمت الياءان، فصارت (سيِّد)، مما حدا بسيبويه على تصغير اللفظ على ما استقر عليه، لا اعتبار أصله.

وقد علَّل سيبويه هذا النوع من القلب في باب (ما تقلب الواو فيه ياءً)، إذ يقول: "وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجزٌ بعد الياء ولا قبلها، كان العمل من وجهٍ واحد ورفع اللسان من موضع واحد، أخف عليهم. وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو؛ لأنها أخف عليهم، لشبهها بالألف"[14].

وكان للعامل الصوتي أثره فيما ذهب إليه سيبويه، وتابعه فيه ابن جني، من تعذُّر مجاورة الواو للياء، على النحو الذي يمثل تداخل فونيمي بين الصوتين بسبب هذه المجاورة[15]، فلزم قلب أحدهما من جنس الآخر؛ طلبًا للخفة.

ومثال مراعاة ظاهر اللفظ، وما استقر عليه بنيةً ما أورده الأنباري، من أصل لفظ (ريحان)، وأنهم قد "خفَّفوا رَيْحان، وأصله رَيَّحَان، بالتشديد، على فَيْعَلَان، وأصل ريحان: رَيْوَحَان، فلما اجتمعت الواو والياء والسابق لهما ساكن، قلبوا الواو ياء، وجعلوهما ياء مشدودة، وكما خفَّفوا: سَيِّد وهَيِّن ومَيِّت"[16]، والأصل: سيْوِد-هيْوِن-ميْوِت.

وكلك ما أورده الرعيني في (شيِّبان)، و"الأصل: شَيْوِبان، فلما اجتمعت الواو والياء قُلِبت الواو ياء، وأُدغِمت فيها الياء، فصار: شَيِّبان، ثم إن العين حُذِفَت تَخفيفًا كما حذفوها من (هيِّن) و (ميِّت)، فبقي شيبان، فتأمله فهو تدريج حسن، وهي طريقة أبي الفتح بن جني"[17].

وقد أقرَّ سيبويه الأصل الواوي المنقلب إلى ياء للحركة، ومنها الكسر على سبيل المثال، كما يتضح ذلك في الإسناد إلى الضمير، كتاء المتكلم، كما في: أغزيت، وفعلها يغزو.

كذلك، مما وافقه فيه المبرد، فأورد ما نصه: "وكذلك لية إنما هي لِوْيَة؛ لأنها من لويت، وقال قوم: نكسر أوائل المضارعة؛ لتنقلب الواو ياء أن الواو الساكنة إذا انكسر ما قبلها انقلبت ياء كما ذكرت لك في ميزان وميعاد"[18]، وأصلها : مِوْزان ومِوْعاد، فقُلِبت الواو ياء للكسر قبلها.

وأكدت الفقر أعلاه، في نهايتها، متابعة ابن جني لهذه الطريقة، والتي ظهر فيها تأثره بسيبويه، من استثقال مجاورة الواو للياء، وقبلهما ساكن، ومعاملة اللفظ على ظاهر بنيته، بعد التغييرات التي

([14]) الكتاب 365/4.

([15]) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ص279.

([16]) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين 658/2.

([17]) اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهرص143.

([18]) المقتضب 90/1.

طـرأت علـى بنيتـه الصـرفية لعلـة صـوتية مـن دون اعتبـار أصـله، وهـو مـا أورده فـي قولـه: فحصَّـلنا بذلك أصلًا نعتقده، وذلك أن نحمل الشيء أبدًا على ظاهره حتى يستنزلنا عن ذلك أمر نتبعه.

- **المسألة الثانية**: القلب في (الأَيامى) جمع (أَيِّم)

قول البُرْج بن مُسْهر الطائي:

وَأَخْرَجْنا الأيامَى مِنْ حُصُونٍ بِهَا دَارُ الإِقامَةِ والثَّباتِ [19]

- **نـصُّ المسـألة**: أورد ابـن جنـي: "(الأَيـامى) تكسـير (أَيِّـم)، علـى القلـب، مـن الأَيْمـة، كـــ (لـيِّن)، وأصـل تكسـيرها: أيـائِم بـالهمز، علـى قيـاس قـول صـاحب الكتـاب، و(أيـايِم) علـى قـول أبـي الحسـن، علـى الخـلاف المشـهور بينهمـا فـي ذلـك، ووزن أيـايِم: فياعِـل، ثـم قُـدِّمت الـلام علـى العـين، فصـار التقـدير بهـا إلـى (أَيَـامٍ): فيَـالِع، ثـم أُبـدَلت الكسـرة فتحـة، فانقلبـت اليـاء فتحـة لانفتـاح مـا قبلهـا، فصـارت: أَيَـامَى، كقولهم في (مدارٍ) و(معايٍ): مدارى ومعايا، ومحايٍ: محايا"[20].

- **دراسـة المسـألة**: تنـاول ابـن جنـي مسـألة القلـب فـي (أيـامى) جمـع التكسـير للمفـرد (أَيِّـم)، فـأورد القـولين الـواردين أعـلاه لسـيبويه وأبـي الحسـن الأخفـش، فأمـا قـول سـيبويه، فيعتمـد علـى قلـب الهمـزة يـاء فـي (أيـامى)، فيكـون أصـلها: أيـائم، ووقـوع قلـب مكـاني فـي اللفـظ، فتصـير: أيـامئ، وقلبـت الهمـزة يـاء لمناسـبة كسـر المـيم، فكانـت مـن بابـك وجـاعى وحبـاطى، ممـا أورده سـيبويه فـي قولـه: "وقـالوا: وجٍ ووجيـا كمـا قـالوا: زمـنٌ وزمنـي، فـأجروا ذلـك علـى المعنـى كمـا قـالوا: يتـيمٌ ويتـامى، وأيِّـمٌ وأيـامى، فأجروه مجرى وجاعى. وقالوا: حذارى لأنةً كالخائف"[21]، ووافقه ابن السراج [22].

أورد ابن الحاجب:

كَحَمْلِهِمْ فِي جَمْعِهِمْ أَيامَى عَلَى وَجاعَى وَكَذَا يَتامَى [23]

ونجـد ابـن جنـي قـد اعتبـر الجانـب الصـوتي عنـد سـيبويه، إلا أنـه لـم يغفـل رأي أبـي الحسـن الأخفـش، وهـو مـا يقـارب مـا ذهـب إليـه سـيبويه، مـن وجـوب وقـوع القلـب المكـاني فـي اللفـظ؛ لحملـه علـى بـاب مـا يتعاقـب مـع المعنـى الـذي يشـير إلـى الوجـع والإحبـاط، ومـن ثـم، فقـد أقـرَّ ابـن جنـي منهجيـة التغييـرات

([19]) ديوان الحماسة1/136.

([20]) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص161.

([21]) الكتاب3/650.

([22]) ينظر: الأصول في النحو 2/386.

([23]) الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري 2/42.

الصوتية في اللفظ، من وقوع القلب، ولم يشِر إلى حقيقة أصله؛ كون التغييرات الصوتية الناتجة عن القلب متقاربة.

ويميل الباحث إلى أن أصل الفعل (آمَ)، وأن (أيامى) منقلب عن أيائم على هذا النحو، ولما استثقلوا الهمزة المكسورة قلبوها ياء لتناسب الكسر، فصارت: أيايِم، ووقع القلب المكاني، فقُدِّمت الميم على الياء؛ لتكون من باب: وجاعى وحباطى على قول سيبويه، وما أورده ابن منظور: " وأما أيامى فقيل: هو من باب الوضع، وُضِع على هذه الصيغة؛ وقال الفارسي: هو مقلوب موضع العين إلى اللام"[24].

المبحث الثاني:

الإبدال:

- **تعريفه والفرق بينه وبين الإعلال**:

- **الإبدال لغة:** يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (بدل)، و" الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذَّاهِب. يقال: هذا بدل الشيء وبديله. ويقولون: بَدَّلتَ الشَّيء: إذا غَيَّرْتَهُ"[25].

- **الإبدال في الاصطلاح، والتمييز بينه وبين الإعلال:** "هو إزالةُ حرف، ووضعُ آخرَ مكانهُ. فهو يُشبهُ الإعلالَ؛ من حيث إنَّ كلاً منهما تَغييرٌ في المَوضع، إلا أنَّ الإعلالَ خاصٌّ بأحرفِ العلَّةِ، فيقلبُ أحدُها إلى الآخر، وأما الإبدال، فيكونُ في الحروف الصحيحة، بِجَعْلِ أحدِهما مكان الآخر، وفي الأحرُف العليلة، بجعل مكان حرف العِلَّة حرفًا صحيحًا [26].

وتشير الفقرة السابقة إلى أن الإبدال يتشابه مع الإعلال في استبدال الحروف، إلا أن الإعلال يختص بحروف العلة، بينما يختص الإبدال بسائر الحروف، ويتجاوز هذا الحد إلى إبدال حرف العلة بغيره من الحروف الصحيحة.

([24]) ينظر: لسان العرب39/12.

([25]) معجم مقاييس اللغة، 210/1.

([26]) ينظر: الشافية في علم التصريف ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري195/1.

- **حروف الإبدال**: هي "الهمزة، والنون، والصاد، والتاء، والياء، والواو، والميم، والجيم، والدال، والطاء، والألف، والهاء، والزاي، واللام، ويجمعها: (أنصت يوم جد طاه زل)"[27]، وقال آخرون: هي مجموعة في قولنا: (طال يوم أنجدته) [28].

- **مواضع الإبدال**: للإبدال مواضع مشهورة، تناولها النحاة في مؤلفاتهم، وهي:

أ- إبدال فاء الكلمة تاء في صيغة (افتعل):

حيث يثقل نطق اللفظ إذا كانت فاء الفعل (واوًا أو ياء)، فإذا صيغ وزن (افتعل) من الفعل (وسع) مثلًا، صار: اوتسع، فيثقل النطق، فتُبدَل الواو تاء، مع إدغام التاءين: التاء المبدلة وتاء الوزن، فتصير: اتَّسع.

وفي ذلك يقول (الأشموني): "إذا كان فاء الافتعال حرف لين، يعني: واوًا أو ياء، وجب في اللغة الفصحى إبدالها تاء فيه، وفي فروعه من الفعل، واسميْ: الفاعل والمفعول؛ لعسر النطق بحرف اللين الساكن مع التاء؛ لما بينهما من مقاربة المخرج، ومنافاة الوصف؛ لأن حرف اللين من المجهور والتاء من المهموس، مثال ذلك في الواو: اتِّصال، واتَّصل، ويتَّصل، واتَّصل، ومتَّصل، ومتَّصَل به. والأصل: اوتصال، واوتصل، ويوتصل، واوتصل، وموتصل، وموتصل به"[29].

وأكدت الفقرة الطبيعة الصوتية للإبدال؛ إذ يثقل النطق، فلا يجد المتكلم قدرة على الجمع بين حركتيْ الحرفين، ومن ثم، يقع الإبدال في الحروف لتسهيل النطق.

ب- **إبدال التاء دالًا في صيغة (افتعل)، وذلك عند وقوعها بعد حرف الزاي**:

ويكون ذلك عند وقوع التاء بعد الزاي، فإذا صيغ وزن (افتعل) من الفعل (زان)، كان: ازتان، فيثقل النطق، فتُبدَل التَّاء دالًا؛ لتُناسِب مخرج الزاي، فتصبح: ازدان.

وفي ذلك، يقول (الثمانيني): "فإن بنيتَ (افْتَعَلَ) من الزَّجر، فقياسه أن تقول: ازْتَجَرَ، فثقل عليهم أن يخرجوا من الزَّاي وجهرها إلى التَّاء وهمسها، فطلبوا حرفًا معدِّلًا، فوجدوه الدَّال؛ لأنَّها توافق التَّاء في مخرجها، والزَّاي في جهرها، فقلبوه منها فقالوا: ازْدَجَرَ يَزْدَجِرُ ازْدِجارًا، وفي اسم الفاعل: مُزْدَجِرٌ، وفي اسم المفعول: مُزْدَجَرٌ، وفي التَّنزيل: (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ)"[30].

ت- **إبدال التاء دالًا في صيغة (افتعل)، وذلك إذا جاء – بعدها- دال، مع إدغامهما في حرف واحد مُضَعَّف**:

([27]) شرح شافية ابن الحاجب 853/2.

([28]) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك 1562/3.

([29]) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 133/4.

([30]) شرح التصريف ص366، والآية من سورة القمر: 4.

ويكون ذلك عند وقوع التاء بعد حرف الدال، في وزن (افتعل)، فإذا صيغ الفعل (دعي) مثلًا على وزن (افتعل)، كان: ادتعى، فيثقُل النطق، فتُبدَل التاء دالًا، مع إدغام الداليْن: الدال المبدَلة، وفاء الفعل، فتصير: ادَّعى.

وفي ذلك يقول (السيرافي): "إبدال التاء دالًا، نحو قوله: وادلجت.. أصله: ادتلجت، بتاء بعد الدال، فأبدلوا من التاء دالًا، ثم أدغموا الدال في الدال"[31].

ث- إبدال التاء صادًا أو ضادًا، إذا وقع بعدها حرف الطاء، في وزن (افتعل):

ويكون ذلك عندما تقع الطاء بعد التاء، في وزن (افتعل)، فيثقل النطق، فتبدل التاء صادًا أو ضادًا؛ لتناسب حرف الطاء؛ إذ يصعب تتالي التاء المهموسة، والطاء المطبقة المفخمة، فلزم أن يسبق الطاء حرف من جنسها الصوتي.

وفي ذلك يقول (السيرافي)، "قال سيبويه في باب الإدغام في حروف طرف اللسان: (وقالوا: في مفتعِل - من صبرتُ - مصطبر، أرادوا التخفيف حين تقاربا).

يريد أنهم أبدلوا التاء الزائدة طاء؛ لتكون أخف عليهم؛ لأن الطاء أخت الصاد في الإطباق، فهي إليها أقرب من التاء"[32].

وقد نبَّه النحاة إلى مواضع كثيرة للإبدال، وهي ما يتداخل فيه مع الإعلال، ومن ذلك أن "تبدل الهمزة - أيضًا- من عين اسم الفاعل الموازن فاعلًا، إن اعْتَلَّت عين فعله نحو: بائع، وطائع. أصلهما: بَايِع، وطَاوِع، فتحرَّكت الياء والواو مع ضعفهما بمجاورة الطرف، وتقدم إعلالهما في الفعْل، وكان قبل كل واحدة - منهما- فتحة مفصولة بألف زائدة فنَوى سقوطها واتصال الفتحة فانقلبت ألفًا، فالتقت ألفان في اللفظ، فحُرِّكت الثانية، وانقلبت همزة"[33].

وتشير الفقرة السابقة إلى اشتراك الإعلال والإبدال في بعض المسائل، فإذا صيغ اسم الفاعل من الفعل (بيع)، كان (بايع)، ولكن الياء تُستَثقَل في النطق، فتبدل الياء همزة، فتصبح (بائع)، وذلك من المسائل التي يشترك فيه كلًّا من: الإعلال والإبدال؛ لأن الياء حرف علة، قد أُبدِلت همزة، وهو حرف صحيح، يختص به الإبدال.

كما يدخل في الإبدال لغات العرب، ومن ذلك استثقال" بعضهم اجتماع الضاد والطاء، فأبدل من الضاد لامًا، كما أبدل بعضهم الضاد من اللام فقال: اضتقطت النوى يريد التقطت، وقالوا أيضًا: استقطته بالسين، وقالوا: اسمع في (اسـتمع)، قلبوا التاء سينًا وأدغموا، وقد تجعل دالاً بعد الجيم

([31]) إسفار الفصيح 195/1.

([32]) شرح كتاب سيبويه 467/4.

([33]) إيجاز التعريف في علم التصريف ص107.

قالوا: اجدمعوا في اجتمعوا، واجز في (اجتز)، فلا يقال عليه، فيقال في (اجترح) اجدرح، وفي بعض تصانيف ابن مالك ما يدل على أنه لغة لبعض العرب"[34].

ولا شك أن الإبدال من الظواهر الصوتية التي يطول التقديم إليها؛ نظرًا لتعالقها مع طبيعة الحروف التي ترتبط بطبيعة الحركات، إلا أن النحويين قد اختصوا الحروف بهذه الظاهرة؛ لأن الحرف هو الأصل، والحركة تابعة له، وفرع عليه.

ومن مسائل الإبدال في الكتاب محل الدراسة، والتي تبرز تأثر ابن جني بسيبويه، ما يلي:

المسألة الأولى: إبدال العين همزة

قول الشاعر:

لا تعذُلِي في خُنْدُجٍ إنَّ خُنْدُجًا ولَيْتَ عِفرِّينِ لَدَيِّ سَواءُ [35]

– **نصُّ المسألة:** أورد ابن جني، متفرِّعًا على البيت: "وقلتُ مرة لأبي علي، وفوائت الكتاب تُقرَأ عليه، وقد مرَّ بنا منها (عُياهِهم): فُياعِل، فقلت له: تكون همزته بدلًا من همزة (أُياهِم): أُفاعِل، كأُحامِر، وأُجارِد، وأُباتِر"[36].

– **دراسة المسألة**: تناول ابن جني مسألة إبدال العين همزة في (عُياهم)، في معرض تناوله لفظ (عِفرِّين)، ومناقشته أصل اشتقاقه، مما فات سيبويه في الكتاب، وهو ما تفرَّع فيه لمناقشة الأصل الاشتقاقي للفظ (عياهم)، مما ذهب فيه إلى أن أصل اللفظ (أُياهِم) ملحقًا بوزن (أُفاعِل) كما ورد، وهو ما يشير إلى وقوع الإبدال في اللفظ.

ولمَّا كان وزن (عُياهُم): فُياعِل، كما ذهب ابن جني، كان جذره (عهم)، و"العيهامة: الناقة الماضية ويقال: هي الطويلة الضخمة الرأس"[37]، وقال "أبو عبيد: ناقة عيهم عيهل، وهي السريعة، وقال غيره: عيهم: موضع بالغور من تهامة"[38].

من هنا، فنحن أمام احتمال أن يكون وزن (فُياعِل) جمعًا للنوق السريعة، أو جمعًا للمكان؛ باعتبار الأغوار المرتفعة على قول أبي عبيد.

([34]) ارتشاف الضرب من لسان العرب 311/1.

([35]) ديوان الحماسة 94/1.

([36]) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص127.

([37]) كتاب العين 110/1.

([38]) تهذيب اللغة106/1.

أما على معنى الأغوار المرتفعة، فهو مسموع عن العرب، مثل: أُجارِد، وهو "اسم موضع، وأُحامِر اسم بلد"[39]، فكانت (عُياهِم) أصلها الهمزة كما ذهب ابن جني؛ ومن ثم، لا يكون أصلها (عهم)، مما فصَّله ابن عصفور في قوله: "وعلى فعلعل:

قالوا عند الزلزلة: إزِلْزِل وهو (فِعِلْعِل) من لفظ الأَزَلَ، ولا يُجعَل (إفِعْلِل) من لفظ الزلزلة؛ لأن الزيادة لا تَلحَق بنات الأربعة من أولها، إلا الأسماء الجارية على أفعالها، فأما (عُياهِم)، فحكاية صاحب (العين) لا يُلْتَفَت إليها"[40].

وأشارت الفقرة إلى أن ابن عصفور يقرُّ ابن جني على ما أورده من إبدال العين همزة، يرفض ما أورده صاحب العين من أن جذرها (عهم)، أن جمع (عيهم) هو عياهِم.

ومما يُستأنَس به ما أورده ابن جني في (الخصائص): "أجارِد وأباتِر جارٍ مجرى أُضارِب وأُقاتِل، وإذا جرى مجراه، فقد لحق في المثال به، والهمزة في ذلك إما هي في أصل هذا المثال للمضارعة، والألف هي ألف (فاعِل) في: جارِد وباتِر لو نطقوا به، وهي كما تعلم للمعنى كألف ضارِب وقاتِل... ولا يكون أجارد أيضًا ملحقًا بعَذافِر لما قدَّمناه: من أن الزيادة في الأوَّل لا تكون للإلحاق، إلّا أن يقترن بها حرف غير مدٍّ كنون (ألنَدد) وواو: إزْمَول وإسْحَوفٍ وإدْرَون؛ لكن دُوَاسِر ملحق بعُذافِر، ومثله عُيَاهِم"[41].

وتشير الفقرة إلى أن (عياهِم) ملحقة بعُذافِر على وزن (فُياعِل)، وأن أصلها: أُياهِم، فتكون الهمزة للمضارعة، وألفها من وزن (أُفاعِل-مفاعَلة)، كأُبارِز مبارزة.

ويميل الباحث إلى أن (عُياهِم) لغة على إبدال الهمزة عينًا، والأصل (أَياهِم) جمه (أَيْهَم)، وهو "الليل الذي لا نجوم فيه"[42]، ومنه العلم، كجبلة بن أيهم، مما يقوِّي احتمال وقوع الإبدال في اللفظ؛ ذلك أن الدراسات الصوتية الحديثة أقرَّت وقوع الإبدال بين حروف الحلق، كالهمزة والهاء، كقولهم: هرقت، وهمرت، وهيَّاك وإياك[43].

المسألة الثانية: إبدال الهمزة ياء

قول حجر بن خالد:

([39]) معجم ديوان الأدب 274/1.

([40]) الممتع الكبير في التصريف ص84.

([41]) الخصائص 485/2.

([42]) تهذيب اللغة 251/6.

([43]) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ص351.

لَعَمْرُكَ مَا أَلِيَّاءُ بْنُ عَبْدٍ بِذِي لَوْنَيْنِ مُخْتَلِف الْفعال (44)

– **نـصُّ المسـألة**: أورد ابـن جنـي: "أليَّـاء: فعـيلاء، كقريثـاء وكريثـاء وعجيسـاء، ولامهـا تحتمـل أمـرين: أحـدهما أن تكـون واوًا، مـن لفـظ (أَلَـوْتُ)، والآخـر أن تكـون يـاء، مـن لفـظ (الأَلِيَّـة)، ويجـوز فيهـا وجه ثالث، وهو أن تكون همزة مجتمَعًا على تخفيفها، فتكون من لفظ (الأَلاءة)، في قوله:

وَخرَّ عَلى الألاَءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ كَأنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ (45)

ومـذهب سـيبويه فـي الألاءة والأشـاءة أنهمـا مـن بـاب: أجـأ وأتـأة، فيكـون أصـلها علـى هـذا (أَلِيئـاء) كعليعـاع، فأُلزِمـت الهمـزة التـي هـي لام التخفيـف، فأُبـدِلت إلـى مـا قبلهـا، وأُدغِمـت اليـاء الزائـدة فيهـا، فصارت كخَطِيَّة ورزِيَّة"(46).

وكذلك قول زيادة بن منقذ:

عنِ الإشاءِةِ هلْ زالَتْ مَخارِمُها وَهلَ تَغَيَّرَ منْ آرامِها إرَمُ(47)

إذ أورد ابن جني: "ولام الأشاءة همزة، كذا مذهب صاحب الكتاب، وهو الصواب"(48)

– **دراسـة المسـألة**: تنـاول ابـن جنـي مسـألة إبـدال الهمـزة يـاء، علـى مـذهب سـيبويه، وهـو مـا فسَّـر بـه قـول الشـاعر: أليَّـاء، ممـا تعـددت فيـه آراء النحـويين؛ إذ أورد سـيبويه: "وأمـا ألاءةٌ وأشـاءةٌ، فألِيئـةٌ وأشـيئةٌ؛ لأن هـذه الهمـزة ليسـت مبدلـة. ولـو كانـت كـذلك لكـان الحـرف خليقـاً أن تكـون فيـه ألايـةٌ كمـا كانـت فـي عبـاءةٍ عبايـةٌ، وصـلاءةٍ صـلايةٌ، وسـحاءةٍ سـحايةٌ، فلـيس لـه شـاهدٌ مـن اليـاء والـواو، فـإذا لـم يكن كذلك فهو عندهم مهموز ولاتخرجها إلاَّ بأمرٍ واضح"(49).

(44) ديوان الحماسة199/1 مع اختلاف يسير: ما أَلِيَّاهُ.

(45) البيت لابن عنمة الضبي. ينظر: ديوان الحماسة421/1.

(46) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص199.

(47) ديوان الحماسة 158/2.

(48) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص443.

(49) الكتاب 459/3.

ونفهم من كلام سيبويه أن الهمزة أصلية غير مبدلة في (ألاءة) و(أشاءة)، وهو ما استند إليه ابن جني؛ لتفسير عدم ظهورها في (أليَّاء)، وأصلها على مذهب سيبويه (أليئاء)، فأُبدلت الهمزة ياء، وأُدغِمت الياءان، فصارت: أليَّاء، كخطِيَّة ورزِيَّة[50].

وقد اتفق البصريون مع سيبويه؛ إذ أورد ابن السراج: "فأليئة وأشيئة لأن هذه الهمزة ليست مبدلة ولو كانت مبدلة لجاء فيها ألاية كما كان في عباءة عباية وفي صلاءة: صلاية وإذا لم يكن شاهد فهو عندهم مهموز"[51].

وأورد السيرافي: "وما كانت الهمزة فيه أصلية غير منقلبة فإنها تثبت همزة في التصغير ولا تحذف، فمن يقول: (ألاءة) وهي نبت و (أشاءة) وهي الفسيلة يقول في التصغير: (أليئة) و (أشيّئة)؛ لأن الهمزة ليست بمبدلة، والأصل في هذا عند سيبويه أن ما كان معروف الأصل بالاشتقاق من واو أو ياء، فهو من باب (عطاء) و (رشاء)" [52].

وقد اعتمد السيرافي على مذهب سيبويه في أصلية الهمزة في ألاءة وأشاءة؛ بدليل بقاء الهمزة في التصغير (أُلَيئة- أُشَيْئة)، وهو ما يدل على أن أصل (أليَّاء): أليئاء، كما أورد ابن جني، مرجِّحًا رأي سيبويه على بقية الآراء في المسألة، ومن ثم، جاء استناد ابن جني إلى مذهب سيبويه لقوته، وإجماع البصريين عليه في هذا الصدد.

ويميل الباحث إلى أن (أُلِيَّاء) وقعت علمًا، فتحتمل احتمالات عدة، كما أورد ابن جني؛ كون معاني الأعلام على مراد واضعيها من ناحية، ومن ناحية أخرى، فالأقرب أن يكون (أليَّاء) اسمًا مصغَّرًا وقع علمًا، وتصغيره من باب: عدة وزنة: أُعَيْدة وأُزَيْنة[53]، فصار: أُلَيَّة، من ولى، وأُلحِقت ألف التأنيث الممدودة في مقابل تاء التأنيث للعلامة، فصارت: أُلِيَّاء على نحو ما أورد ابن عنمة.

الخاتمة:

نخلص من ذلك إلى أنّ ابن جني قد اعتبر الجانب الصوتي عند سيبويه، إلا أنه لم يغفل رأي أبي الحسن الأخفش، وهو ما يقارب ما ذهب إليه سيبويه، من وجوب وقوع القلب المكاني في اللفظ؛ وذلك يدل على أنّ ابن جنى قد وافق سيبويه في ذلك. وكذلك نرى أنّ ابن جنّي قد وافق سيبويه فيما يتعلق

([50]) ينظر: المقتضب 161/1.

([51]) الأصول في النحو 58/3.

([52]) شرح كتاب سيبويه200/4.

([53]) ينظر: شرح المفصل للزمخشري 402/3.

بقلب الهمزة عيناً أو ياءاً . وقد اتفق البصريون مع سيبويه؛ أيضاً في أصالة الهمزه وأنّها غير مبدلة ومنهم ابن السرّاج. وقد اعتمد السيرافي على مذهب سيبويه أيضاً في أصالة الهمزة.

الهوامش

([1]) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين 279/1.

([2]) شرح شافية ابن الحاجب267/1.

(3) معجم مقاييس اللغة 17/5.

(4) لسان العرب685/1.

(5) ينظر: المنصف ص343.

(6) اللغة العربية معناها ومبناها ص276.

(7) المرجع السابق342/1، وينظر: الخصائص 159/1.

(8) الكتاب، 466/3-467.

(9) ديوان الحماسة122/1.

(10) التنبيه على شرح مشكلات الحماسةص149.

(11) ديوان الحماسة292/1.

(12) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، ص149.

(13) لسان العرب، 208/10.

(14) الكتاب 365/4.

(15) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ص279.

(16) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين 658/2.

(17) اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهرص143.

(18) المقتضب 90/1.

(19) ديوان الحماسة136/1.

(20) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص161.

(21) الكتاب650/3.

(22) ينظر: الأصول في النحو 386/2.

(23) الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري 42/2.

(24) ينظر: لسان العرب39/12.

(25) معجم مقاييس اللغة، 210/1.

(26) ينظر: الشافية في علم التصريف ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري195/1.

(27) شرح شافية ابن الحاجب 853/2.

(28) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك 1562/3.

(29) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 133/4.

(30) شرح التصريف ص366، والآية من سورة القمر: 4.

(31) إسفار الفصيح 195/1.

(32) شرح كتاب سيبويه 467/4.

(33) إيجاز التعريف في علم التصريف ص107.

(34) ارتشاف الضرب من لسان العرب 311/1.

(35) ديوان الحماسة 94/1.

(36) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص127.

(37) كتاب العين 110/1.

(38) تهذيب اللغة106/1.

(39) معجم ديوان الأدب 274/1.

(40) الممتع الكبير في التصريف ص84.

(41) الخصائص 485/2.

(42) تهذيب اللغة 251/6.

(43) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ص351.

(44) ديوان الحماسة199/1 مع اختلاف يسير: ما أَلِيَّاهُ.

(45) البيت لابن عنمة الضبي. ينظر: ديوان الحماسة421/1.

(46) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص199.

(47) ديوان الحماسة 158/2.

(48) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ص443.

(49) الكتاب 459/3.

(50) ينظر: المقتضب 161/1.

(51) الأصول في النحو 58/3.

(52) شرح كتاب سيبويه200/4.

(53) ينظر: شرح المفصل للزمخشري 402/3.

المصادر والمراجع:

1. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: الأنباري، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ - 2003م.
2. شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني، ركن الدين، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1425 هـ- 2004م.
3. معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م.
4. لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
5. المنصف: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ - 1954م.
6. اللغة العربية معناها ومبناها : عمر، تمام حسان، عالم الكتب، ط5، 1427هـ-2006م.
7. الخصائص: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
8. الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م
9. ديوان الحماسة122/1.
10. التنبيه على شرح مشكلات الحماسة: أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: 392هـ)، تحقيق: حسن محمود هنداوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط. 1، 2009م.
11. التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: الحساني، عادل نذير بيري، ط1، 1430ه-2009م.
12. اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر: الرعيني، أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي، تحقيق: عبد الله حامد النمري، رسالة ماجستير منشورة - كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1402هـ -1982م.
13. المقتضب: المبرد، عالم الكتب-بيروت، بدون تاريخ نشر.
14. الأصول في النحو: ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.

15. الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري): ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين الكردي المالكي، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط1، 1415هـ- 1995م.

16. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.

17. شرح التصريف : الثمانيني، أبو القاسم عمر بن ثابت، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط1، 1419هـ-1999م.

18. إسفار الفصيح : الهروي، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.

19. شرح كتاب سيبويه: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

20. إيجاز التعريف في علم التصريف : ابن مالك، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ- 2002م.

21. ارتشاف الضرب من لسان العرب: أثير الدين الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ - 1998م.

22. كتاب العين: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

23. تهذيب اللغة: الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

24. معجم ديوان الأدب: الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، تحقيق: أحمد مختار عمر،

25. الممتع الكبير في التصريف: ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، مكتبة لبنان، 1996م.

26.شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء (المتوفى: 643هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2001م.